الاسلام أو على الأقل تجاهلوا نظام الحكم فيه فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفى عهد خلوفه من بعده، أولئك الغُر الياميين الأطهار الذين حكموا دينهم فى الدولة فسادوا لأنهم قضوا بهذه السياسة المالية أوطار الأفراد والجماعات وحققوا لهم كل رغبة صالحة ثم اجتاحوا لوثة الوثنية ومستهجن العادات فى عهود الجاهلية

ولعل النمط الذى جرى عليه توزيع الزكاة والصدقات وإقامة الولاة فى الدولة ورسم الحدود ووضع الخطط التى ينتهجونها فى أمثل حكومة عادلة بواسطة برامج تكشف لهم حقيقة حكم الشعوب الداخلة فى الاسلام وأخذهم بالهوادة فى موضعها وتيسير الأمور عليهم حين لا يضيق عنهم التيسير ونوع معاملة أولئك الولاة للذمى والحربى والمدى الذى توزع به السلطات بين شؤون الرعية آية الآيات على أن الاسلام فى حقيقته لا يعرف الفصل بين السلطتين، لكن قد تغلغلت المدنية الآرية فى الشرق فانطمست معها الحقائق وغابت السلطة الزمنية للإسلام بتضافر شتى العوامل مما سنكشف عنه فى أعداد تالية إن شاء الله

عباس طه
المحامى الشرعى

حرمة البيـــان

للأستاذ عبد المنعم خلاف

— ٢ —

لا تزال فى نفسى بقية من هذا الحديث، هى حديثى عن واجب الأدباء فى أن يكونوا مخلصين لفنهم وأنفسهم فيصنعوا المقالة الأدبية كما يصنع المهندس بيتا لنفسه يعيش فيه، يرى فيه ويرى له الناس أنه مأواه وحصنه وعش أطفاله.

حينئذ سيلمس القارئون نبضات قلوب الكتاب فى الألفاظ كأنهم يضعون أيديهم منها على أجسام حية... وحينئذ سيعز على الكتاب أن يرسموا صورا بأيديهم ثم يدوسوها بنعالهم.. وأن يخلقوا خلقا جميلا ثم يئدوه ويدفنوه...

فمن حرمة البيان أن يعيش فيه أصحابه ولا يتركوه ألفاظا خربة كالتماثيل الجامدة القائمة من غير روح الحياة.

أجل! إن صنع الألفاظ أكبر مسئولية من صنع التماثيل والدمى والصور، يحتاج إلى أن ينطق بها صاحبها ويفعل ما ينطق. فاذا خص أديب الطبقة الفقيرة برعاية قلمه فواجب أن يخصهم برعاية جيبه ...

وإذا أكثر من أدب القوة فليكثر على الأقل — من مواقف الرجولة والبطولة في محيطه

وإذا أدمن على تصوير الجمال فلا أقل من أن يكون نظيف النفس والثوب مهندم المظهر بقدر الامكان ..

وإذا أكثر فى أدب النفس فحذار أن يخالف عن أمره فيقذف من حالق وتهوى به الألسنة والأقلام فى مكان سحيق، ثم يرجم برجوم من ألفاظه هو ..

وهكذا يعيش الأديب الحق كما تعيش دودة القز لعمل القز ثم «تموت» فى صميم ما صنعت لتُبعث منه خلقا آخر: فراشا جميلاً طائراً على الأزهار ... وكذلك يبعث الأديب الصافي بعد موته روحاً رفافاً على الأرواح ...

أريد وأعنى أن يعيش الأديب المبين دائماً بصميم نفسه التى رسمها فى صحفه ولا يدعها تفارقه لحظة ...

فالذين يواجهون الحياة دائماً بنفوسهم ومثلها العالى ووسيلتها إليه وإيمانها به ... هؤلاء هم الذين يتركون آثارهم ويشقون طريقهم ولو فى الصخور ... لأنهم ألحوا على جبهة واحدة فى الحياة، ولم يتخذوا لأقلامهم سبيلا عوجاء؛ فكان من اللازم المحتوم أن ينفذوا من السدود، ولو كان مبلغ آثارهم قطرة واحدة متكررة دائبة كما يقول إنجيل برنابا ما معناه: القطرة الصغيرة المتكررة تشق الصخرة الكبيرة أو تترك فيها آثارها

والأديب الخالص لمثاله العالي الذى يصوره لا يتعب دارسيه فى تطبيق حياته على آرائه، ولا يحملهم على الاسراع بالشك فى تلك الآراء حين يرونه فى حياته الخاصة بعيداً عنها مكذباً لها ولا يحملهم كذلك على رجمه بألفاظه كما رجم حسان بن ثابت بأبياته فى الشجاعة إذ كان جبانا، وكما رجم أبو العتاهية بأبياته فى الزهد إذ كان بخيلا، وكما رجم البحترى بأبياته فى الجمال إذ كان قذرا، وكما رجم المتنبي بأبياته فى الحكمة إذ كان أخرق وإن كان قد كفر من جرمه هذا باسراعه إلى تلبية نداء شعره

حين ذكره غلامه بيته : الخيل والليل والبيداء… الخ. وقتل دفاعاً عن حرمة بيانه، وكتب بيته ذاك بدمه بعد أن كتبه بمداده …

فأمثال من ذكرنا من الأدباء حكم عليهم التاريخ ببقاء ألفاظهم خربة من نفوسهم . ولكن ما الفائدة من أن أقول قال فلان كذا … بينما تاريخ فلان هذا يقول لي كذب صاحبك ! لاجرم أن تطير هالة الخيال إذا رُئى المثال ، وأن يدخل البيان إلى النفس فى استحياء وخجل تكاد تُزْلقه عيون الشبهات !

فالخلود الحق للأديب أن تعيش نفسه فى نفوس قارئيه مع كل كلمة من كلامه تملؤها وتشرحها وتشير إلى النموذج الذى حققته الحياة …

فليحذر الأدباء أن يحكم على ألفاظهم رعاة الانسانية الذين وضعت الأقدار فى أيديهم موازين الحكم والنقد والاعتبار كما حكم محمد رسول الله على أمية بن أبى الصلت أنه « قد آمن شعره وكفر قلبه »

* * *

أنا بالطبع فى دنيا غير دنيا أكثر الأدباء التي يعيشون فيها ويأخذون منها أفكارهم… أناديهم من مكان بعيد… ولكن ما حيلتى والحقائق الكبرى فى الحياة هى التى توحى بذلك … الايمان والحق والخير والجمال والحب والقوة، تلك المعانى التى حملها وحدها الرجال الأمهات … ! الذين ولدوا الانسانية وعاشوا لها وعاشت فى نفوسهم وتقاليدهم …

ولم يخلد من الأدباء بل من الناس جميعاً إلا خدام هذه الحقائق مجتمعة أو منفردة . وخدمتها لا تكون أول ما تكون بألفاظ وأناشيد … وإنما بالنفس ! ومعنى خدمتها بالنفس أن تفقهها وتراها رأى العين أنها أعمدة السموات والأرض فتلوذ بها وتعيش معها دائماً ، ثم تخلقها هى مرة ثانية بالقول الجميل أو اللحن الجميل أو الرسم الجميل …

إنى إنسان سائر مع الطبيعة … أستحى من وجوهها الصادقة أن أمر عليها بوجه كاذب … وإن صداقتى لها أمر ثمين عندى أثمن من صداقة الناس .. وإنى أستحى من الجماد والنبات والحيوان أن أكون أقل منه صيانة لقوانين الله بارئى وبارئ الفطرة … والتناسق والنظام يحتمان علىّ أن أسير فى مواكب الطبيعة على قدم واحدة وموسيقى واحدة وإشارة واحدة …

لماذا يكذب الانسان وحده ؟ ! إن النحلة لا تخرج علقما .. والحية لا تقبّل الخدود … والحنطة لا تنبت عقارب … والنار تحرق دائما .. والماء يغرق دائما …

إن كل شيء صادق فى الدنيا فلماذا نكذب نحن ؟!

عجبا أعجبه معك ياأبا العلاء حين تسأل عن النجوم :

وتكذب؟! إن المين فى آل آدم غرائز جادت بالنفاق وبالعهر

* * *

نكبة الأدب هي التزوير فيه : تزوير النفس وتزوير الحياة حتى تستحيل إلى خيال شارد ..

لماذا يتغزلون وهم لا يحبون ؟ ولماذا يمدحون وهم يكرهون ؟ ولماذا يتظرفون وهم ثقلاء ؟ ولماذا يتحمسون وهم خونة جبناء ؟ ولماذا يفخرون وهم ناقصون ؟ ولماذا يسودون الحياة فى وجه الناس وهى بيضاء ، ويبيضونها وهي سوداء؟ لماذا يبلبلون قلوب الناشئين ويبذرون فيها بذور الشك فى الحقائق الثابتة التى لا يمكن الدنو منها والحكم عليها إلا بعد الامتلاء والانتهاء من العلم والدين والفن وتجارب الحياة ؟

أكل هذا لفتنة القول والقوافى والأسجاع والنكات والشهرة؟!

أنت علل المنون فما بكام من اللفظ الصحيح ُولا العليلُ

كلا بل ضحكت منهم الألفاظ وشيعتهم ساخرة يا أبا العلاء !

إن الخواطر لا تنتهى ، وإطلاقها ينتهى بعقول أصحابها إلى الجنون … وحرية الأفكار ليس معناها حرية الطباع ، والحرية الفكرية معناها تقديم مقترحات ضد بعض الأوضاع والتقاليد التى يرى ناقدها أنها فاسدة ولكن فى عرض جميل … لا تقديم خواطر تهجم على حق أو تجرح فضيلة …

ويا ويل من يقع قلبه فريسة لأدب الأدباء المزورين ! إنه لا يتيقظ إلى أنهم متناقضون متهافتون إلا بعد فوات الأوان… بعد أن ينطبع ذهنه على قبول الخيال الناقص والكذب وبتر الحقائق ولا يهضمها . والأدباء المزورون أهل شطحات ، ينسون فيها كل ماضيهم وآرائهم فيناقضون أنفسهم مناقضة فاضحة إلى حد أن يحكموا على أنفسهم أحكاماً قاسية مسقطة لمداركهم الأدبية وهم لا يشعرون

وهم لا يصدرون آراءهم عن وجهة واحدة فى الحياة ، ولذلك تراهم « فى كل واد يهيمون » وليس لهم مذهب ورأى ذو سلطان له مدرسة وتلاميذ يتشيعون له ويعيشون لنشره وشموله

ولو اقتصر كل منهم على المتح مما فى نفسه من منابع الالهام وعلى رصد مخلوقات قلبه ، ولم يتكلف نظم قول لا يؤمن به ولا يحسه حيًّا فى نفسه ، إذاً لظفرت الآداب بكنوز من دفائن القلوب، ولأحس القارئون حين يقصدون إلى فصل أدبى ، أنهم قادمون على معرض جميل من معارض الحياة لفنان صادق ... فواجبهم أن يستحضروا الجد ويقظة الدرس والتحصيل لما فى هذا المعرض من آراء وأرصاد ورؤى وفكاهات وعظات قنصها ذلك الفنان الصادق من خواطره وإلهامه ليقدمها للناس على أنها نتيجة التقائه بالحياة ...

ومجتمع الرأى : أننى لا أومن بالأدب ولا أعترف بحرمة البيان — ذلك الجانب المقدس فى الانسان — على أنه تسلية وترجية فراغ تقصده النفس فى غير إجلال ، وتلعب فيه الأيدى بالأقلام لعب الأرجل بالكرة ... وإنما أومن به على أنه — فى مجموعه — معرض للآراء المصححة لأغلاط الحياة ، وللمشاعر النبيلة من حياة القلوب ، وللموسيقى اللفظية التى تساعد على خلق جو روحى أثناء القراءة

وأختتم هذا الحديث بإيراد أقصوصة تمثيلية قرأتها فى بعض الآثار اليهودية ، وهى تمثل حرمة البيان وجنابه العظيم :

قيل إنه لما فرغ الله من خلق الدنيا قال لأحد الملائكة : أنظر هل ترى فى السماء والأرض والماء والهواء نقصاً ؟ فنظر ثم عاد فقال : لا ينقصها إلا شىء واحد يا رب ، هو الكلام الذى يبين ما فيها ويتحدث عنها . فخلق الله ذلك النوع الممتاز !

(القاهرة) عبد المنعم محمد خلوف

حـــواء

ديوان شعر طريف فى المرأة يصدره الأستاذ الحوماني وتقدم الرسالة منه بضعة نماذج لقرائها قبل صدوره فى مئتى وجه ثمنه عشرة قروش صاغ قبل صدوره ويطلب من إدارة الرسالة

دموع قيثارة

يتصبّانى من الروض إلى ... وجهكِ الفاتن أرضٌ وسماء
الثرى عينٌ وخدٌ وفمٌ ... والسما نورٌ وعطرٌ وغناء
يستظلُّ الزهر أفياء المنى ... والمنى تطغى عليها الخُيَلاَء
فتمجُّ الشمس فى أعطافها ... خمرة نكرع منها ما نشاء
يتصبانى إلى عينيكِ من ... روضتى غصنٌ وعصفورٌ وماء
يتغنين فيملأن فمى ... ضَرَباً تغرف منه النُّدماء
يا لها قيثارة ، ملء يدى ... من مآقيها دموعٌ ودماء
خفقت بين يديها كبدى ... فجثت بين يدىّ الشعراء

بعض كيانى

ألهمينى سرَّ عينيكِ وما ... يعترينى كلما أبصر ثاني
كم تساءلتُ ونفسى عنهما ... وتحرّيتُ شعورى وبيانى
فإذا زهرهما ملء فمي ... وإذا عطرهما ملء جنانى
وإذا السرُّ الذي أنشده ... فوق ما يشعر قلبي ولسانى
ربما ألهمني سحرهما ... روعةً تملأ بى كل مكان
وأرانى همتُ فى الأرض فما ... وسمتْ رقعتها بعض كيانى
وتشوّفتُ إلى الأفق الذى ... يسع الشعر فأعيانى عيانى

الحوماني